أول رحلة دعوية

من الدياراليمنية إلى الديار الليبية

بعد مقتل الهالك معمر القذافي

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسولهﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]..

أما بعد:

فكنت قد تكلمت عن الرحلة إلى إخواننا في البلاد الليبية، بعد رجوعي في شريط، ورأيت بعد مشورة من الإخوة: أن تكون في وريقات؛ لتهذب وترتب وتسهل الاستفادة منها، مع العلم أنها تعد أول رحلة دعوية يمنية إلى الديار الليبية بعد مقتل الهالك معمر القذافي، وممن شجعني على إبرازها في هذه الوريقات الشيخ الفاضل نعمان الوتر -حفظه الله تعالى- بعد أن أخرج حلته الذهبية، فقد سبقته في الرحلة، ولكنه سبقني في المشورة، والكتابة، فجزاه الله خيراً.

وسيكون شرح الرحلة على النحو الآتي:

<u>أولا</u>: كانت الرحلة بطلب الأخوين الكريمين عماد الدرسي وربيع الكوافي؛ من أجل إقامة دورة علمية في بنغازي، وتكرر ذلك مرارا، وكان التردد حاصلا بسبب الأوضاع المضطربة في أكثر البلدان العربية والإسلامية، ومع كثرة الإلحاح، استخرت الله، واستشرت أخانا الفاضل الشيخ أبا حذيفة رمضان المصراتي، فأشار علي بالتأني نظراً لقرب موعد الانتخابات، فأعطيت الإخوة وعدا بالذهاب، واستشرت مجموعة من المشائخ في اليمن، فأشاروا علي بالتأني حتى تتحسن الأوضاع، إلا أن الوعد سبق للإخوة، فرأيت أنه من الواجب الوفاء بالوعد، ولا يكون إلا ما قدره الله تعالى، واستحييت من الإخوة بسبب ما بذلوه في استخراج تأشيرة السفر، ودفع رسوم الطيران، إضافة إلى قولهم: لو نعلم أن في مجيئكم أدنى خطر ما رضينا بمجيئكم نحن، فتشجعت لذلك، وبعد الاستخارة والاستشارة، توكلت على الله تعالى وقلت لأخي ورفيقي الأخ الفاضل سالم بن مفتاح المرادي: ماهو

مكتوب لنا سنأخذه هنا أو هناك. وههنا ثلاثة مواقف طريفة في بداية الرحلة يحسن ذكرها هنا:

الموقف الأول: بعد أن بعث إلينا الإخوة بالتذاكر، وكان توقيت الوصول يوم الانتخابات الليبية، فقمنا بالتأهب للسفر، وأخذنا التذاكر والجوازات، واستأذنا الأهل والإخوة وودعناهم وتحركنا في يوم الخميس ١٥/ شعبان/ ١٤٣٣هـ إلى صنعاء، وموعد الوصول للمطار الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وموعد الإقلاع الساعة الرابعة قبل صلاة الفجر بقليل، فبتنا عند أخينا الفاضل علي بن حجاج في صنعاء، وفي رفقتنا إلى المطار الدكتور محمد الفرح حفظه الله تعالى، وشكر سعيه، فذهبنا في منتصف الليل، والأمور مضطربة جدا في صنعاء، فسلكنا الطريق المختصر إلى المطار من جهة الدائري الغربي، فتفاجأنا بنقطة تفتيش في الطريق، فطلبوا منا البطائق، فأخرج الإخوة بطائقهم، وأدخلت أنا يدي في الجيب؛ لأخرج الجواز فتفاجأت بأن الجواز الذي أحمله ليس بجوازي، وإنما هو جواز الأهل إلا أن البطاقة العائلية بجواره وهي التي أوهمتني بأنه جوازي، مع أني قد أخرجت الجواز أربع مرات، ولم أنتبه إطلاقا وكان في الأمر متسع قبل ذلك، فبينما نحن عند النقطة، وأنا بين الفرح والحزن: أما الحزن فبسبب أن الإخوة في انتظارنا، وقد كثرت المواعيد، وقد دفعوا رسوم التذاكر.

وأما الفرح فقلت: الحمد لله لعل في ذلك خيرا، وتذكرت قول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة:٢١٦]، لاسيما، وقد استخرت الله ﷻ فذهبنا المطار، وحاولنا الحجز للصباح، ومراجعة المسئول، حتى يتم إرسال الجواز، ولكنه اعتذر بأن وقت الإقلاع قد قرب جدا فتواصلنا مع الإخوة وذكرنا لهم القصة نريد أن نعتذر لهم، وإذا بهم يسابقونا بالاعتذار، وأن هذا قضاء وقدر، فرجعنا حامدين الله تعالى على تقديره، ورجونا أن في ذلك التأخير خيراً عظيما، لاسيما مع فوضى الانتخابات ثم رجعنا بيوتنا.

وقد كان هذا من بركات الاستخارة؛ وواقعا عمليا لها، وتذكرت كلام أهل العلم: أن العبد يستخير، ويمضي في الخير، وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه العظيم (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل)[(١)]:

وفي المسند من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ: «**من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله عز وجل ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله**» فالمقدور يكتنفه أمران الاستخارة قبله والرضا بعده، فمن توفيق الله لعبده، وإسعاده إياه أن يختار قبل وقوعه ويرضى بعد وقوعه، ومن خذلانه له أن لا يستخيره قبل وقوعه ولا يرضى به بعد وقوعه.

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١٢ / ١٢).

وقال عمر بن الخطاب: "لا أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره"، وقال الحسن: "لا تكرهوا النقمات الواقعة والبلايا الحادثة فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ولرب أمر تؤثره فيه عطبك".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فَإِذا استخار الله كَانَ مَا شرح لَهُ صَدره وتيسر لَهُ من الْأُمُور هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ الله لَهُ".

وظننت الإخوة تاركين لنا فإذا بهم يغيرون الحجز إلى يوم الاثنين ١٩/ شعبان/ ١٤٣٣هـ بعد الانتخابات بيومين، وكنا قد فرحنا بالرجوع؛ لكثرة التثبيط من القريب والبعيد في تلك الأوضاع، فتم الاستعداد مرة أخرى وكان الموعد نفس الموعد.

الموقف الثاني: اتصل بي أخونا ربيع الكوافي -حفظه الله تعالى- والأخ عماد الدرسي وقالوا الحجز يوم الاثنين ١٩/ شعبان/ ١٤٣٣هـ فظننت أنه يقصد اليوم الثاني، وهو نفس اليوم فقلت له إن شاء الله نمشي غدا ففهمت فهما آخر فبينما أنا مضطجع مستعد للنوم اتصل بي الأخ ربيع، وقال هل قد تحركت؟ قلت: غداً، قال: لا الموعد الليلة، وقد نام الجميع فقمت ولم أتمكن من توديع أحد، واتصلت بأخينا محمد الفرح، فأخذنا بسيارته إلى المطار على عجل شديد، وقد فحصت الجواز أكثر من ثلاث مرات حتى لا أقع في نفس المطب الأول، ثم مشينا بسرعة من رداع البيضاء إلى صنعاء، وأخذنا أخانا سالما وقد تفاجأ كما تفاجأت، فمشينا إلى المطار مباشرة، ووصلنا الساعة الثانية على الموعد، فدخلنا الصالة وأعطينا المسئول على الطيران الجواز، وإذا بالمفاجأة الأخرى، وقد ودعنا الأهل بالجوال لعدم تمكننا من التأخر فقال المسئول: أين تأشيرة الجواز إلى ليبيا؟ قلنا: موجودة هناك في مطار ليبيا حسب ما تفيده الورقة المرفقة من دار ابن القيم مع التذكرة، فأبى وقال: لا نسمح إلا بتأشيرة من السفارة الليبية. فنظرت إلى سالم ونظر إلي وعادت ذكريات الجواز مع عسكري النقطة، فتعجبنا وقلنا: حسبنا الله ونعم الوكيل، لله في أقداره أسرار، فحاولنا أن نبين لمسئول الطيران أن الأخوة لم يطلبوا منا ذلك، بل قالوا نتوجه إلى المطار مباشرة، فأصر وألحينا عليه فقال: إذا كنتم مصرين، فسأختم لكم الجوازات إلى مطار القاهرة، ولست مسئولاً عنكم لو رجعتم من مطار القاهرة، فشاورت سالماً، فقال: الصواب أن نرجع من هنا خير من أن نرجع من القاهرة، فقلت: أما أنا فأرى أن نذهب إلى مطار القاهرة، فإن تيسر الذهاب فالحمد لله وإلا رجعنا من هناك، فقد استحيينا من إخواننا أولا، ومن وداع أهلنا ثم نرجع وعزمنا على الذهاب، وقلنا للمسئول: أعطنا ختم الجواز إلى القاهرة، ويختار الله ما فيه الخير، فانطلقنا إلى صالة المغادرة، وبقي لوقت الفجر قرابة عشر دقائق.

والموقف الثالث: دخلنا في مسجد صغير بجوار الصالة، وصلينا الوتر، ثم رأينا المسافرين يصلون الفجر قبل الوقت، فقلنا لهم: بقي للوقت ربع ساعة، فقالوا: الآن وقت ركوب الطائرة، ولا نتمكن من الصلاة في الطائرة؛ لأن المسافة إلى مصر ثلاث ساعات، ونصف وستطلع الشمس، ونحن في الجو. فقلنا: ننتظر حتى يدخل الوقت، فإن لم نستطع صلينا في الطائرة مع دخول الوقت، فكان بعضهم يقبل ما نصحناه به والبعض يصلي ويذهب، وهم في الرحلة إلى مصر، فركبنا باص الانتقال إلى الطائرة، وبقي للوقت تقريبا ثلاث دقائق، فاتفقنا مع الإخوة أن نصل إلى قرب سلم الطائرة، وأحدنا يؤذن ويقيم الصلاة ونفاجئ أصحاب الطائرة بالأمر الواقع، ونضطرهم للانتظار عشر دقائق، فنجحت والحمد لله الخطة، وصلنا إلى قرب السلم، فأذنا وأقمنا الصلاة، وصلينا وصف خلفنا أكثر المسافرين وبعض من كان قد صلى، وكان المنظم للصعود يصرخ بأعلى صوته قائلا: ممنوع الصلاة هنا صلوا في الطائرة فأعطيناه أذنا من طين وأخرى من عجين، وتمت بحمد الله الصلاة في وقتها، وإلى القبلة. ومن العجيب أن أحد الراحلين في الطائرة قال: الصلاة في هذا المكان غير لائق، فلما رآنا عازمين صلى معنا، والحمد لله، وبعد الصلاة كان الرجل الذي يصرخ قد هدأ، وجعل يقول لنا: تقبل الله منا ومنكم تفضلوا وصعدنا الطائرة، وقلوبنا مسرورة بأداء الصلاة في وقتها ومع الجماعة وإلى القبلة.

ثم تحركنا إلى مصر، ثم من مصر إلى بنغازي، وكان وصولنا الساعة الحادية عشرة قبل الظهر.

استقبال الإخوة لنا

لقد كان استقبال الإخوة عظيما جدا، فبينما نحن نازلون من سلم الطائرة إذا بي أرى أخوين ممتلئين شبابا، وعليهما لباس عسكري مع السلاح الشخصي، ولحاهم كثة في هيبة الجندي المسلم، وهما ينظران في وجوه الناس، فشعرت أنهما يبحثان عنا، فنزلت وسلمت عليهما، فباشراني بالسؤال: أنت فلان، فقلت: نعم، فأخذانا في سيارة خاصة تابعة للدولة، وخرجنا إلى الإخوة خارج المطار، وكان استقبالاً كريماً في أرض طيبة، شعرنا من حينها كأننا بين أهلينا وفي أرضنا من فرح الإخوة بنا وحفاوتهم وأنا أتذكر قول الشاعر:

أضاحك ضيفي حين إنزال رحله   ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى   وإنما وجه الكريم خصيب

وهنا طريفة: أن خروجنا من مطار صنعاء كان عاديا، فوصلنا إلى مطار القاهرة، وقبل ذلك في الطائرة تكدر علينا الصفو؛ لما رأينا من عرض الأفلام الهابطة في الطائرة، والنساء المتبرجات اللواتي صرن في حالة من العري تتقطع لها الأكباد، ويبكي لها الفؤاد، في بلاد تنتسب إلى الإسلام، وترفع شعاره، وتهتك أستاره، في دولة يحكمها مرسي، الذي وصل إلى الكرسي، فلا للإسلام نصر، ولا للكفر كسر.

ثم لما وصلنا مطار ليبيا قلت: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور؛ لأني رأيت مطار بنغازي وطبيعة الأرض يشبه مطار صنعاء، فشعرت بارتياح، وكأن خروجنا من مطار مصر إلى مطار ليبيا من جحيم إلى نعيم، فبعض الشر أهون من بعض، فوجدنا مجتمعا -والحمد لله- محافظا على كثير من الصفات الحميدة، والفرق بين البلدين كبير رغم تقارب المسافة فالمسافة ساعة ونصف من مصر إلى بنغازي.

رافقنا في هذه الرحلة أخونا عماد الدرسي وربيع الكوافي وحططنا رحلنا في بيت أخينا ربيع حفظه الله تعالى، وكان والله ربيعا في أخلاقه وكرمه وطيب نفسه -في ما نحسبه والله حسيبه- فأعطانا مقاليد الشقة، ولم يكن عندنا أي حرج، فكأننا في بيوتنا، لا ينقصنا إلا الدعاء له ولأهله ولإخوانه ولجميع إخواننا المتعاونين معه.

ثم تم الإعداد والتشاور حول الدورة المسماة بـ**(دورة الإمام مالك بن أنس)** وقد حصل التشاور على موضع الدورة، فاخترنا أن يكون دار ابن القيم لدروس بعد الفجر إلى قريب الظهر، وبعد العصر إلى ما بعد العشاء في مسجد معاذ بن جبل، وهو أكبر مسجد في مدينة بنغازي ويقع في حي التوحيد.

وتم اختيار الدروس حسب ما يلي:

ـ بعد صلاة الفجر مباشرة: درس في لامية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة، ثم البيقونية في المصطلح.

ـ ثم تناول طعام الإفطار.

ـ ثم يتم الرجوع إلى درس القواعد الفقهية للإمام السعدي، وتم بحمد الله الانتهاء من كتاب اللامية والبيقونية تماماً، وقطعنا شوطا كبيرا في القواعد الفقهية، وذلك لأن الدورة كانت لمدة تسعة أيام فقط، وبعدها مباشرة دخل شهر رمضان المبارك.

ـ وبعد صلاة العصر كان الدرس في الأصول الثلاثة، وشرح أخينا الفاضل نعمان الوتر حفظه الله تعالى.

ـ ثم بعد صلاة المغرب دروس عامة، ونصائح عامة حول الصيام، وغيره مما يقترحه الإخوة وبعد كل درس إجابة عن الأسئلة.

إقبال الإخوة على العلم والخير

رأيت عجبا لم أستطع أن أصوره إلا في أيام طلبنا للعلم عند شيخنا ووالدنا الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله وذلك يتمثل في انكباب الإخوة على الحفظ، وتقميش الفوائد والمسابقة إلى أماكن الدرس، وحضورهم العجيب، وكثرة الأسئلة، والمناقشات حول الدروس، ولم يكن هناك فرصة لأي شاغل آخر كذلك حرص طلبة العلم، وعامة الناس على الأسئلة في الطريق، وبعد الدروس، وفي الجوال بل حتى داخل البحر في وقت السباحة

فجزاهم الله خيراً، ونسأل الله الإخلاص في القول والعمل.

حضور الإخوة

كان الحضور غير متوقع بالنسبة لي، لا سيما أن رمضان على الأبواب، ورحلة بعضهم من مسافات طويلة تبلغ أكثرها الألف كيلو، وأقلها خمسون كيلو مترا تقريبا، جمع طيب كثير من الرجال والنساء من طلبة العلم، وعوام الناس، فجاء إخوة من طرابلس العاصمة، والبريقة، والبيضاء، ومصراته، وبني وليد، وغيرها مما لم أحفظ أسماءها.

حبهم للعلماء

وجدنا أولا الحفاوة والإكرام حسا ومعنى، وتنبيك أخلاقهم وأسارير وجوههم عن ما تكنه صدورهم من الحب والمودة لإخوانهم وعلمائهم فمن براهين ذلك:

حبهم الشديد للشيخ العلامة الإمام المجاهد مقبل بن هادي الوادعي -رحمة الله عليه- الذي صار من مكانته ومنزلته عندهم وكأنه كان بين أظهرهم، إذا ذكرناه أطرقوا واشرأبت الأعناق، وإذا لم نذكره جاءت الأوراق بالحث والإلحاح على ذكر شيء من سيرته وأخباره؛ وذلك أن بصماته في تلك البلاد ظاهرة، وآثاره بارزة في طلابه، ومحبيه وكلامه وكتبه، فهو من آوى الإخوة الليبيين الغرباء في مركزه وأرضه، وحافظ عليهم من الأعداء، وكان يكرمهم غاية الإكرام، ويوصي بهم خيراً، وإن خاف عليهم من الدولة أعلن لهم السياحة في الشعاب والقبائل؛ لإقامة الدعوة فترة حتى يذهب الخوف، ثم يعودون، فنفع الله بهم وانتفعوا، أحبوه حبا لم يحبوا عالما مثله فرحمه الله رحمة الأبرار.

يشهد لهذا أنه ذهب أخي ورفيقي الشيخ سالم بن محمد مفتاح، لقلع ضرسه، فوجد طبيبا، وسأله من أين أنت فقال: من اليمن.

قال: أنت من الذين جاؤوا للدورة من طلبة الشيخ مقبل بن هادي.

قال: نعم.

فقال: رحمة الله على الشيخ مقبل ما كان أعظمه وأبرك دعوته، فلما انتهى من قلع ضرسه أراد أن يعطيه أجرته، فأبى، وقال هذا إكرام للشيخ مقبل إلى قبره فجزاه الله خيرا.

وكذلك عندهم من الإجلال والإكرام، لمشائخ اليمن والسعودية ما يعلمه إلا من عاشرهم وجلس معهم، فهم بحق ممن يكرم العلماء، ويصدر عن رأيهم، لا سيما أئمة العصر ابن باز وابن عثيمين والألباني، والوادعي، والفوزان، والشيخ ربيع، وإنما ينقص كثيرا منهم التتلمذ على أيدي العلماء والرحلة إليهم، وهم على ذلك

عازمون وله يسارعون.

الدورات العلمية

وهذه الدورات من السنن السلفية التي مشى عليها الإخوة، بحيث تحدد في منطقة يجتمع لها طلبة العلم، من شرق البلاد وغربها، وتقام الدروس العلمية من الكتب السلفية، على أيدي مشائخ، وعلماء، وطلبة علم من أهل السنة والجماعة، وقد نفع الله بها نفعاً عظيماً، ووجدناها طريقة نافعة للشيخ والطالب، بحيث يتم الانتهاء من عدة كتب مختصرة في وقت وجيز، وبأقل كلفة، ويتعاون الإخوة على السكن الداخلي، والأكل والشرب بالتعاون الذاتي، ويجعل الله فيها بركة عظيمة والحمد لله.

الخلوات

هي بمثابة المكاتب القديمة، عندنا في اليمن التي كان يدرس فيها القرآن، وهي عبارة عن غرفة كبيرة ملحقة بالمسجد، وفيها مجموعة من الألواح التي يتم من خلالها حفظ الطلبة؛ لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وطريقة ذلك: أن يلقن الشيخ الطالب، والطالب يكتب الآيات في اللوح أو الكراس، ثم يقرؤها الطالب على الشيخ، وينظر الشيخ في الكتابة، ويعدل الأخطاء ويضبط الرسم، ثم يقوم الطالب بحفظها من اللوح جيدا، ثم يقرؤها غيباً، ثم يمسحها من اللوح، ثم يحفظ ما بعدها، وهكذا حتى تنطبع في قلبه بلفظها ورسمها، ثم يختبر الطالب في كل سبت بما حفظ في الأسبوع كتابة وقراءة، وهي طريقة جيدة في حفظ كتاب الله تعالى، وقد عدل الإخوة إلى الكتابة في الكراريس بدلا من الألواح؛ لكونها أسرع، وأسهل، وتبقى فيها الكتابة؛ فيسهل على الطالب معرفة الخطأ.

مواقف مثيرة وجدناها هناك

هدم الأضرحة الشركية والقبور، فقد مررنا على كثير من القبور التي كانت تعبد من دون الله وقد صارت قاعا صفصفا، ونقلت رفاتها، وسويت معالمها، وتحولت معظمها إلى معاقل للتوحيد، ومساجد يذكر فيها اسم الله تعالى، وحده لا شريك له، ومن ذلك أن الحي الذي نزلناه كان يسمى بحي سيدي يونس، ثم بعد هدم ضريح يونس تحول إلى حي التوحيد.

وقلـــما أبصــــرت عينـــاك ذا لقـــب إلا ومعنــــــاه إن فكــــــرت في لقبــــه

فقد تحول بحقيقة ذلك الحي إلى معقل؛ لنزول دعاة التوحيد، وإقامتهم فيه الدورات والمحاضرات وغيرها، بدءا بدار ابن القيم ثم مسجد معاذ بن جبل.

هذا وقد قام الإخوة بحملة توحيدية، ودعم ذاتي من أنفسهم لتهديم تلك الأضرحة، ومعاقل السحرة، التي أضلت أقواما في زمن القذافي الهالك فترة من الزمن، بل ووجد فيها من السحر، والفسق والخمور ما يعلمه الله

تعالى، فتحول الظلام ضياءا، والليل نهارا، والشرك توحيدا، والبدعة سنة والفضل لله تعالى.

وقد أخبرنا الإخوة أنهم كانوا في زمن القذافي -عامله الله بما يستحق- لا يستطيع اثنان أن يمشيا بلحاهما، بل ولا يستطيع أحد أن يمر بجانب مركز حكومي، أو مكان مرموق للدولة وعليه لحية فإن مرَّ يا ويله من تلك النفوس الشريرة على الدين وأهله، بل كانوا لا يستطيعون إقامة دروسهم حتى في بيوتهم، وها هم اليوم ينعمون بدعوة عريضة يحضرها الآلاف من جميع بقاع ليبيا، ويجتمعون للدروس والمحاضرات، فسبحان مغير الأحوال، وصدق الله إذ يقول عن موسى ﷺ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف:١٢٨]، وما زاد أهل ليبيا ضغط القذافي وشدته إلا إقبالاً على الخير، وتذكرت قصة الغلام والساحر، فبالرغم من شدة الملك، وتعذيبه قالوا: آمنا برب الغلام، فليخسأ الزنادقة والملاحدة، وليبوؤوا بالفشل، وليصابوا بالإحباط، فالدين ظاهر والله ناصره، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [التوبة:٣٢].

زيارة الأخوين الفاضلين الشيخ أبي عبيدة المصراتي وأبي حذيفة المصراتي

قام بزيارتنا من مدينة مصراته من مسافة ٨٥٠ كيلو الأخوان الفاضلان الكريمان الشيخ أبو عبيدة والشيخ أبو حذيفة، فالتقينا بهم مفاجأة في منزل الأخ ربيع وحالنا كما قيل:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما ... يظنان كل الظن ألا تلاقيا

تذكرت هذا البيت الذي تمثل به إمامنا الشيخ مقبل في رحلته الأخيرة في مرض موته عند أن رأى الشيخ العلامة المحدث ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى- بعد فترة طويلة ويأس من التلاقي فجمع الله بينهما في مكة وبعدها مات الشيخ رحمة الله عليه.

فجلسنا مع الأخوة وكان لنا معهم موقفان مؤثران:

الأول: دعانا الأخوان إلى طعام الغداء في قصر الفضيل أبو عمر، -وهو اسم لأحد كبار المناصرين لعمر المختار-، وهو القصر الذي كان ينزل فيه القذافي، وهو قصر مطل على البحر من ثلاث جهات، فدخلنا القصر، وهو مفروش بالبسط من الساس إلى الرأس، فصعدنا الدرج، وقلت لأبي عبيدة: هل كنتم تتوقعون أن تدخلوا هذا القصر؟ فقال: كان هذا من المستحيلات عندنا، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٢٧﴾ [الأحزاب:٢٧]، ثم جلسنا للغداء في غرفة مطلة على البحر والأمواج تتلاطم أمامنا، ونحن ننظر من نافذة على عرض الغرفة، وعندما جلسنا للغداء بدأ الشيخ أبو عبيدة -حفظه الله تعالى- بالحديث عن أهل اليمن، وكرمهم، ثم جعل يقص علينا من خبره مع أهل اليمن،

وقال: لقد والله أكرمونا وآوونا وزوجونا وحافظوا علينا كمحافظتهم على أنفسهم ومنعونا مما يمنعون أنفسهم وأهلهم، وكنا نظن أننا سنعيش في اليمن نحن وأبناؤنا وأبناء أبناءنا، وكان من الحاضرين أخونا الشيخ أبو ياسين، فبكى وهو يسمع الكلام وأبكى والله من حوله.

الثاني: قمنا بالتقديم للأخوين في مسجد معاذ بن جبل؛ لإلقاء محاضرة، وبينت ما هم عليه من الاستفادة، وطلب العلم والخير والدعوة والحكمة في نشر الخير كما عهدناهم في يمننا الحبيب، وذكرنا تزكية العلماء لهم، فألقى أبو حذيفة كلمة بعد صلاة العصر، وذكر مواقف أهل اليمن معه، وهو أيضا ممن تزوج في منطقة مأرب، فبكى وأبكى الحاضرين، وكانت مواقف مؤثرة في قلوب الحاضرين، ودعوة صريحة إلى الإخوة والمحبة والتآلف، وتحدث حول فضل أهل اليمن، ثم عن فضل الأخوة فجزاه الله خيرا، ثم كانت الكلمة بعد المغرب لأبي عبيدة، وكانت محاضرة طيبة حول التوحيد، ثم رجعا إلى بلادهما راشدين بحمد الله تعالى.

ولما ذكرنا ما عندهم من العلم والفضل والصبر على الدعوة استغرب كثير من إخواننا حتى قال أخونا عماد الدرسي: والله ما كنا ندري أنهم بهذه المنزلة إلا الساعة.

ومن العجائب: أخبرنا الإخوة عن اضطهاد القذافي، وقتله لكثير من الإخوة السلفيين، بل وأخبرونا عن أخ جاء من تونس يريد مصر من السلفيين، فنزل في مطار ليبيا للانتظار حتى يواصل الرحلة إلى مصر، فأخذه زبانية القذافي، وهو عابر سبيل وأدخلوه السجن وحلقوا لحيته وعذبوه، عاملهم الله بما يستحقون.

ولذا لا تغتر بحركة المذبوح القذافي، حين قال وقد أدركه الغرق، وتنسم رائحة الموت: سأبني جامعة للسلفيين بعد أن حصل له الحصار في داره، فأخزاه الله تعالى وأبعده والحمد لله، فقد أراحهم الله وأزاح عنهم ذلك الكابوس الأفريقي الذي كانوا يسمونه بقرد قرود أفريقيا، وصدقوا.

يتمتع الليبيون بحرية وبخاصة تحرك إخواننا واجتماعهم للدورات والدروس هنا وهناك حيث شاؤوا من فضل الله تعالى، وهذا من ثمار الصبر والدعاء، فقد كان إخواننا من طلبة العلم في اليمن من الليبيين في أشد الغربة والكربة لا يستطيعون أن يعودوا إلى بلادهم، بل يئس الكثير منهم من ذلك، حتى تزوج الكثير منهم من اليمن بنية البقاء إلى الموت مع ما كان يحصل لهم من الإيذاء من قبل الحكومة اليمنية أحيانا، فجاء الفرج بعد الشدة، ولسان حالهم كما قيل :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

وصار حالهم كما قيل:

ولــرب نازلــة يضــيق بهــا الفتــى ذرعــا وعنــد الله منهــا المخــرج

ضــاقت فلــما اســتحكمت حلقاتهــا فرجــت وكنــت أظنهــا لا تفــرج

عجيبة: سألنا إخواننا عن طلبة العلم الذين كانوا عند شيخنا، ووالدنا مقبل بن هادي الوادعي أين ذهبوا مع كثرتهم، ولم نر منهم إلا النزر اليسير، فأجابونا بأنهم كانوا على ثلاثة أقسام: منهم من رجع إلى بلده فقتله القذافي الأثيم، ومنهم من تفرقوا في سائر البلدان لما أذن لهم الرئيس اليمني السابق بالذهاب حيث شاؤوا، فذهب بعضهم المملكة، وبعضهم المانيا وغيرها من البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، ففتن من فتن بالدنيا وثبت من ثبت، ومنهم: وهم القليل الذين صبروا في اليمن في شعابها وعند القبائل ومنهم أبو حذيفة وأبو عبيدة وأبو أحمد وأبو مصعب وأبو الفضل وأبو البراء، ثم رجعوا في الفترة الأخيرة بعضهم في آخر حياة القذافي وبعضهم بعد هلاكه، وهم بحمد الله قائمون الآن بدعوة عظيمة ودورات علمية مفيدة.

رغم ضغوطات القذافي ولكنها باءت بالفشل ومن العجائب أنه ما من شخص استعمل العنف والظلم مع رعيته وحاول صدهم عن الدين إلا انعكس الأمر وعاد خلاف ما أراد، فما لمسناه عند إخواننا أن كثرة الضغط عليهم جعلهم بعد هلاك القذافي يقبلون على الدين والدعوة السلفية إقبالا عجيبا بفضل الله تعالى، ووقع بالقذافي وأمثاله ما كان يحذر منه والحمد لله تعالى وحده.

وجدنا أكثر الآباء في ليبيا يحب اليمن، وأهل اليمن، بل وكثير منهم يرجع أصله إلى قبائل عربية يمنية معروفة كما صرح بذلك بعض الآباء الكبار في السن، ووجدنا منهم الغيرة العربية الأصيلة على الدين والعرض والشرف فجزاهم الله خيرا.

سهولة المعيشة بعد مصرع القذافي

أخبرنا الأخوة أن الدولة الجديدة، بعد مصرع القذافي قامت بدعم المواد الأساسية، من الأطعمة والمواد البترولية خاصة، فسهلت عندهم المعيشة، حتى إن اللتر من البترول بربع دينار إلا عشرة قروش، وهو ما يساوي ربع ريال سعودي تقريباً، والكيس البر خمسين كيلوا، بخمسة دينار، وهو ما يساوي ثلاثة عشر ريالاً سعودياً، والعشرون كيلو من الأرز بخمسة دينار كذلك، والكيلو من السكر بربع دينار، وهو ما يقارب ريال وعشرين هللة سعوديا، بل لقد رأيت بعيني رجلاً يبيع البطيخة بدينار، وهو ما يقارب ريالين ونصف سعودي، أما الكماليات فأسعارها متقاربة مع غيرها، فهذه من نعم الله عليهم التي يجب أن يشكروها، بطاعة الله تعالى، فقد قال لي الأخ أبو حذيفة: لو أن طلبة العلم استغنوا عن الكماليات في ليبيا؛ لعاشوا ملوكاً.

وأنا أقول: لم تستفد بلاد بعد الأحداث في ما يسمى بالربيع العربي، ما استفادته ليبيا دينا ودنيا، فليرعوا هذه

النعمة، على أننا نعتقد عدم جواز الخروج على الحاكم لانتفاء كثير من الشروط، أو حصول المفسدة الأعظم من سفك الدماء، وخراب الأرض، وانتهاك الأعراض، ونهب الأموال، وانتشار الظلم.

نصائح وتوجيهات لإخواننا الليبيين

يجب أن يحمد الله أهل ليبيا على ما من الله به عليهم من: بداية انتشار التوحيد وهدم الأضرحة؛ فإن أساس بناء الأرض هو دين الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

وسبب خرابها ودمارها هو الشرك بالله تعالى، قال جل في علاه: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت:٤٠]، فإن أرادوا أن تدوم دولتهم، وتقوى شوكتهم، فعليهم بطاعة الله، وإتاحة الفرصة أكثر لدعوة أهل السنة، فإنها دعوة رحمة وهدى ونور وعافية.

وأدعوهم جميعا إلى الحذر من الحزبية المقيتة، والأفكار المنحرفة من الرفض والاعتزال والتصوف والتكفير؛ فإن هذه ما حلت بأرض إلا أورثت أهلها بعد العز ذلا، وبعد المكانة مهانة وبعد الجماعة فرقة وبعد الرحمة عذابا.

وأدعوهم إلى تشجيع أبناءهم وبناتهم على الإقبال على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على فهم السلف، ففيهما المأمن من الفتن والسلامة من الشر وأذكرهم بقول الإمام مالك بن أنس : "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها".

وندعو الدولة الليبية وفقها الله للحق، وسددها للصواب أن تقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليتم لها التمكين، ولأن الشعب الليبي بحمد الله شعب محافظ على كرامته وشهامته وشجاعته رغم تدنيس القذافي، ولكن ما زال محافظا ويحب الخير فإذا انتشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استتب الأمر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج:٤١].

وأنصحهم بأن لا يصدقوا الوشاة والحاقدين في إخوانهم دعاة أهل السنة والجماعة، فوالله ما وجدت الدولة اليمنية بعد الله تعالى دعوة أعظم ولا أرحم ولا أبرك من دعوة علماء أهل السنة، ولا أدل على ذلك مما شهد به القريب والبعيد والعدو والصديق لشيخنا العلامة مقبل بن هادي لما حصلت فتنة الحوثيين والقاعدة والإخوان المسلمين، فقد شهد بصدق دعوته الكبار والصغار والرجال والنساء؛ لما رأوا من وضوح ما كان يدعو إليه

ومثول ذلك في أرض الواقع بعد موته رحمه الله تعالى.

بل أخبر بذلك كبار المسؤلين، وقد أخبرني الأمين العام لمحافظة إب بلسانه قال: لما كنا في صعده، وكنا نسمع الشيخ مقبلا، يحذر من الشباب المجرم من الرافضة، فكنا لا نعير كلامه اهتماما، فلما مات وانفجرت ثورة الشباب المجرم عرفنا حقيقة ما كان يحذرنا منه، وليتنا عملنا بكلامه في حينه ولكن قدر الله وشاء فعل.

وأنصحهم بأن يحذروا من أهل البدع، فما نصر الله الإسلام بمبتدع، وأيما دولة قربت دعوة أهل السنة والجماعة إلا دام عزها وعظم خيرها، وما من دولة قربت أهل البدعة والضلالة إلا ذلت وعظم شرها، ولا أدل على ذلك من بلاد التوحيد (السعودية) مثال للخير، وإيران مثال للشر.

وأحذر آبائي وإخواني في ليبيا من دعاة التقريب بين السنة والشيعة، ومن دعاة تحرير المرأة ودعوات الاختلاط والتبرج؛ فإن هذه الدعوات ما حلت ببلد إلا نكستها ونكبتها.

وأنصح للإخوان والصوفية -هداهم الله- أن يتقوا الله في دعوة الله، وأن يتحاكموا إلى الكتاب والسنة، ولا تأخذهم العزة بالإثم فيردوا الحق، فالحق أحق أن يتبع، والحق أغلى من الرجال والمذاهب، بل أغلى من كل غال، فإن لم يفعلوا فلا يجوز لهم أن يقفوا أمام دعوة الحق صادين عن سبيل الهدى، ومحاربين لأهلها فإن الله عز وجل بالمرصاد.

كلمات ومشاهد حق

يقول الله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن:٦٠]، وإني أشهد بما رأت عيني بحق إن شاء الله، فقد رأينا ما يلي:

أولا: استقبال الدولة لدعاة أهل السنة ينتقلون في أرضها للدعوة إلى كلام الله ورسوله، وإقامة دروس التوحيد والعقيدة، دليل واضح على حب عظيم للدين وشجاعة نادرة.

ثانيا: يتمتع الشعب الليبي بالغيرة والرجولة، والشهامة والشجاعة والكرم، وتذكرنا كثير من صفاتهم بصفات العرب الأصلاء، وهذا يدل على كرم الأصل ونجابة النسل.

ثالثا: لا تزال اللغة عند الشعب الليبي أحسن حالا من غيرها يتجلى ذلك في فصاحة طلبة العلم وسلامة مخارج الحروف عندهم، وطلاقة اللسان فيهم.

رابعا: احترام الضيف وإكرامه من عامة الناس سواء من الجنود والمسئولين، أو من طلبة العلم والعوام فالحفاوة والترحيب والبشر يعلو وجوههم، بل كنا نمر على بعض النقاط العسكرية فنجد غاية الاحترام عند أن

يسألوا من معكم فيقال لهم: دعاة من اليمن.

خامسا: الصلابة والتمسك بما عرفوه من الشرع، وهذا يوافق قول الله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مريم:١٢]، ويتجلى ذلك في الحملات التي شنوها على الأضرحة بدون استثناء.

وحبهم للسنة والعمل بها بقدر الاستطاعة، ومما وجدناه، أنهم يصلون على الجنائز في مصليات قريب المقابر في معظم البلاد، وكذا مصليات العيد خارج المساجد.

سادسا: إقبال النساء على السنة وحب ذلك، ووجود الحجاب الشرعي الذي ما رأيناه منذ خرجنا من اليمن إلا في ليبيا عند أهل السنة، وهذه بشارة عظيمة لعودة الحجاب وعدم اليأس من رجوعه.

سابعا: الاهتمام بحفظ القرآن متقناً، وقد لمحنا هذا في كثير من الإخوة الذين ما طلبوا العلم أصلا، ويعود ذلك إلى اهتمام الدولة والآباء بالخلوات، ودفع أبنائهم إليها وهي موجودة حتى في زمن القذافي، وفي الحقيقة فحفظ القران من أعظم الأسباب المعينة على طلب العلم، فمعظمهم مستعد لطلب العلم، والحمد لله فقد صارت كثير من الخلوات يقوم عليها إخواننا من أهل السنة كما في خلوة معاذ بن جبل، والتي يقوم عليها أخونا مهند وعماد وغيرهم.

تنبـــــيه:القراءة المشهورة التي يقرأ بها الليبيون هي قراءة قالون.

ثامنا: الشعب الليبي، شعب يشبه اليمن في كثير من العادات القبلية، ولا زالت كل قبيلة لها مكانتها، ومترلتها، حتى أخبرني الإخوة، أن كثيرا من القضايا، تحل بالطرق القبلية، لا سيما القضايا العويصة، ونحن لا نفرح بالعادات القبلية إلا لأنها لا زالت تحافظ على كثير من الأمور التي دعا إليها الشرع، من الرجولة، والشهامة، والغيرة، والحجاب، والشجاعة، والفطرة السليمة غالباً، وهذا مما يعين البلد التي يوجد فيه على التماسك، والانضباط، بخلاف البلدان التي غلب عليها التمدن، والتساهل، الذي أفقدهم العز، وأعقبهم الذل والهوان.

تاسعا: أنصح الإخوة بالجد والاجتهاد والإخلاص في طلب العلم، وأن يحافظوا على النعمة التي هم فيها، وبالأخص المحافظة على أخوتهم التي فيها عزهم، ويكون بينهم النصيحة مع الرحمة، والمحبة والرجوع لأهل العلم، عند الاختلاف، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦].

عاشرا: أدعوا طلبة العلم والمشائخ في ليبيا، لا سيما الذين تتلمذوا على مشائخ اليمن والسعودية، ممن نحسبهم على خير عظيم إلى الاستمرار في الدورات العلمية، من قبلهم وممن يستضيفونهم من المشائخ من هنا وهناك، فقد والله لمسنا بركتها، ومنفعتها، واستفادت الإخوة منها كثيرا، وأدعوهم إلى تهيئت دور الحديث في

أكثر من مكان ليتم النفع، ويجد الراغبون دُورا يأرزون إليها عند الفرص، وأوقات الفراغ.

متنفسات وطرائف الرحلة

* لما دخلنا قصر الفضيل في ضيافة الشيخ أبي عبيدة والشيخ أبي حذيفة انتهينا من طعام الغداء، فقمت لأغسل يدي في المغسلة، فوجدت الإخوة يغسلون أيديهم، فرددت عليهم السلام فجعلوا يضحكون، وأنا لا أدري ما سبب ضحكهم، فسألتهم، فقالوا: نحن في دورة مياه، وإنما حملني على رد السلام ما رأيت في دورة المياه من الأجهزة الموجودة فيه، والسعة والديكور والزخرفة التي لا تجعلك تشعر بأنها دورة مياه إلا عند التركيز.

* كان الإخوة يعدون لنا طعام العشاء، غالبا على شاطئ البحر في أماكن خالية، ونشعر منهم أنهم يتنفسون، ويستريحون بتلك الجلسات، والتي تتخللها دماثة أخلاقهم، وحسن طباعهم وذكر أحوالهم قبل الأحداث.

* كانت لنا رحلة في آخر يوم إلى منطقة البيضاء شرق ليبيا، وتبعد عن بنغازي مائة وخمسين كيلو تقريبا، وتهيأ الإخوة جزاهم الله خيرا للسفر، فذهبنا مجموعة في أربع سيارات، وهذه المنطقة في الحقيقة دخلناها ليلا، وخرجنا منها ليلا، ومررنا على منطقة وادي الكوف، وفيها جسر عملاق، يخبرنا الإخوة أنه بني في مدة خمس سنوات، وهو جسر عظيم له قاعدة عظيمة جدا، ويمتد من طرف وادي الكوف إلى الطرف الآخر بين جبلين شاهقين، وتحته واد أفيح مليء بالأشجار، وقد رأينا في تلك الرحلة على جنبات الطريق الخضرة، والمناخ الجميل، وجميع أنواع العسل يباع في الطرقات، وقد حضينا من صهر أخينا عماد بعشرة ألتار من العسل، فجزاه الله خيرا، ومررنا على صناعات فخارية جميلة من الصنع الليبي، فاشترى لنا الإخوة بعضها، ولما سأل صاحب المحل من أين الإخوة أخبروه أننا من اليمن، فأخذ بعض الثمن، وأعطانا البقية بدون ثمن إكراما منه على الرغم من أنه رجل عامي، ولم نعرفه بل ولا يعرفه الإخوة، ولكن قال: هذه ضيافة لإخواننا اليمنيين فجزاه الله خيرا.

ومنطقة البيضاء اسم على مسمى، فقد حضر منها الدورة إخوة أفاضل، وتذكرت بيضاءنا في اليمن، وأخبرونا أنها من أعظم المناطق حبا للسنة، وقد أقام عندهم أخونا الشيخ أبو أحمد فترة، فسمعنا ثناءهم عليه بالخير.

وهي مطلة على البحر جمعت بين البر والبحر، وهي على رأس جبل، وجوها بارد، في حين أن بنغازي فيها حر في تلك الأيام، ولم نتمتع بالنظر إليها جيدا لأمرين: ظلام الليل، وموعد الرحلة لم يمهلنا إلى الصباح، وقد صنع لنا الإخوة الفطور على الجمر في وادي الكوف في رحلة جميلة يتخللها الفوائد والدعابة، وأتينا وأخونا الفاضل الخدوم لإخوانه يسري يطبخ والدخان يتخلل لحيته، وهو يشوي اللحم على الجمر فجزاه الله خيرا.

*وأجمل رحلة بحرية كانت في صبيحة الجمعة، وقد بتنا ليلتها في حديقة لأحد الإخوة الأفاضل وأكرمنا غاية الإكرام، وأصبحنا ذاهبين إلى شاطئ البحر الأبيض؛ لنحظى بالسباحة فوصلنا إلى شاطئ جميل جدا حسا

ومعنى، فهو خال من الناس تماما، وفيه من النظافة البرية والبحرية ما يدعو إلى المكث فيه، ولولا صلاة الجمعة ما رجعنا لما رأينا من الراحة، وقد قمنا بالسباحة في ذلك الماء الصافي، وكان أكثر الإخوة يجيدون السباحة والحمد لله، وعقدت حلقة في البحر ، ونحن نسبح وكان النقاش حول أنصار الشريعة والأخطاء التي وقعوا فيها، ولم أشعر بلذة مثل لذة تلك السباحة نسينا فيها التعب والإرهاق وتذكرت قول الشاعر:

فـوالله مـا ضـاقت بـلاد بأهلهـا ... ولكـن أخـلاق الرجـال تضـيق

* ومن الطرائف: أن أحد الإخوة واسمه نافع كان لا يجيد السباحة، فأعطيناه علبة بلاستيك مغلقة تسع عشرة ألتار، وأغلقناها فكان يسبح تارة، وتفلت منه تارة، فقلت له مداعبا: ما رأيك أن نملأها لك؛ لتستقر، ففرح فملأناها، ثم أعطيته فظن أنها ستقله مثل المرة الأولى، فنزلت معه في الماء، فجعل يقول: خدعتني خدعتني، فلم يتمالك الإخوة أنفسهم من الضحك هذا، وقد أتحفنا في شاطئ البحر أخونا الفاضل أسامة الفرجاني بقصيدة طيبة لا أحفظها فجزاه الله خيرا.

* أصر علينا أخونا جبران -شيخ الليل- وألح أن أصلح له العمامة على رأسه؛ وكان مغرما بالعمامة اليمنية، فأصلحتها له فظلت على رأسه إلى أن سافرنا، فتعجبت من طول مكثها، فقال: كنت إذا وضعتها أضعها برفق شديد على الطاولة، وأنزل أنا إلى الأرض لكي لا تنحل، ثم إذا لبستها أرتفع شيئا فشيئا حتى يصل رأسي إليها، وألبسها فكان يتحدث معنا ويرينا حركته والمحافظة على تلك العمامة بحركات غريبة مضحكة.

المهم أن رحلات الإخوة آنستنا وأنستنا غربتنا فجزاهم الله خيرا.

* ومن المواقف الطريفة: أن أحد الإخوة الكبار من أهل السنة أتى بابنتيه، وهما في سن السابعة والثامنة، وعليهما الحجاب الشرعي فانتظرنا في باب المسجد الخارجي، وقال: هاتان بنتاي سلفيتان وحجابهما على السنة، وستطلبان العلم، فالحمد لله على نعمة العلم والسنة .

* لم ندرك من الخطب إلا خطبة واحدة ؛ لضيق الوقت فخطبنا الجمعة في مسجد أم حبيبة فما صعدت المنبر إلا والمسجد مليء بالناس، وكذا الصرح، وتفاجأت بإعلان إمام المسجد بعد السلام عن خطيب الجمعة، وأنه ضيف عزيز نزل علينا من اليمن، ولأول مرة في حياتي أرى من يقدم لضيفة قبل الخطبة من غير نكير من الناس، ثم تمت الخطبة، وكانت حول أسباب الأمن والأمان.

* ومن الطرائف: أن أحد الآباء جزاه الله خيرا بعد أن أتممنا الصلاة، وأردنا الخروج ذهب إلى وعاء الماء، فأتى بكأس، وظننت أنه أراد أن يسقيني، فشربت الماء، ولما كدت أن انتهي من شربه صاح، وأخذه من يدي،

فتفاجأت وهو يضحك، ويدعو لنا، وإذا بالرجل يريد أن يتبرك بما بقي من الماء في الوعاء، فعرفت أن هذه من آثار الصوفية، ورواسبها التي يضحكون بها على عباد الله، ومن المعلوم أن التبرك بآثار الصالحين من ثياب وعرق ولعاب وشعر وطيب وغير ذلك لا يجوز على الصحيح من أقوال أهل العلم، وأن ذلك خاصا برسول الله ﷺ.

* ومن الطرائف: أننا حضرنا عقد زواج لأخينا الفاضل المقرئ في بنغازي، وله إجازة بالقراآت، فكان العقد خلاف ما نعهده تماماً، حيث أن العقد عندنا يتم بكل سرية، لا سيما عند عامة الناس، أما عقد أخينا فقد دعي له الإخوة وأعلن عن تمامه في يوم معين، ثم حضر له جمع غفير، في مسجد معاذ بن جبل، وحضر من وجهاء الناس، والمسئولين، وكانت خطبة الحاجة، والعقد بمكبر الصوت، ونحن نسمع كل شيء، وانفض المجلس بعد ذلك على خير، ومنع الإخوة التصوير في المسجد فجزاهم الله خيراً.

اقتراح

يا حبذا لو يكتب أحد الإخوة الليبيين من أهل السنة والجماعة، تاريخا مفصلاً عن سير الدعوة، وانجازاتها، ويقارن بين الماضي والحاضر في التغيرات في البلاد، ويذكر ما يحتاجه الناس لدوام النعم والخير؛ ليعم النفع فصاحب البيت أدرى بما فيه.

آخر اللقاء بالإخوة

انتهت الدورة وأوشك شعبان أن يرحل، وصار الناس في مشارف رمضان، فأردنا العودة قبل دخول شهر رمضان المبارك، فحاول الإخوة أن يجدوا حجزا في الطيران إلى مصر، ثم إلى اليمن مباشرة، فلم يجدوا رحلة إلا في خمسة أو ستة رمضان، أما إلى مصر، فالأمر مفتوح وقد اجتهد في متابعة ذلك بكل جهده، وبذل ما بوسعه أخونا الفاضل المبارك عز الدين العوامي، وبقية الإخوة ولكن دون جدوى، وقد رافقنا في أكثر الرحلة، وإلى المطار مجموعة من الإخوة الأفاضل، منهم عماد وربيع وأبو ياسين، وأسامة الفرجاني والعشيبي، وعيسى، وأحمد شكري، وآخرون لا أذكرهم فجزاهم الله خيرا، ثم قررنا الركوب إلى القاهرة، وكنت أظن أننا سنجد هناك حجزا بدون تأخر، فرحلنا وودعنا الإخوة، ونحن لا نحب فراقهم، وهم كذلك بل كانت أصعب لحظة حين دخلنا صالة المطار، وغاب إخواننا عن الأنظار، وهم يتابعوننا بالاتصالات، فوصلنا إلى مطار القاهرة، وفيه كل متبرجة وسافرة، فأردنا الحجز فلم نجد، فدلنا بعض الإخوة اليمنيين هناك على الانتظار؛ لعلنا نجد كرسيين في الطائرة حال المغادرة فبقينا في المطار في شر انتظار؛ لأنك لا تكاد تسمع إلا الموسيقى في كل ناحية وجانب، ولا ترى إلا المنكرات من تبرج وعري وسفور، وكأنك لست في بلد إسلامي قطعا، وكنت أتذكر قول سفيان

الثوري: "إذا رأيت المنكر ولم أستطع أن أغيره بلت دما"، وأتفكر في حلم الله تعالى على عبادة، وهم في الحرام ليل نهار، فوجدنا عند وقت الظهر متنفسا عند أن سألنا عن مسجد للصلاة، فوجدنا مسجدا صغيرا كان ملجأ عظيما لذنا به فترة لا بأس بها في حالة الانتظار، فما جاء موعد الرحلة إلا وقد طال بنا الموقف، ونحن ندعو الله تعالى في كل لحظة أن ييسر لنا مقعدين في الطائرة، فدخلنا مع الناس، ونحن في أمواج متلاطمة من الفتن لا تكاد تنظر يمينا ولا شمالا ولا أمامك ولا خلفك، بل وحتى تحت قدميك إلا وترى من المنكرات ما يتألم له القلب، ثم يسر الله تعالى بتأخر بعض المسافرين عن الرحلة، فكان عندنا ذلك مثل يوم العيد، فطرنا فرحا؛ لنخرج من ذلك الوكر الخبيث الذي قد آذانا بمعاصيه، والعجب أننا لم نجد امرأة محجبة إلا بعض اليمنيات اللواتي سافرن للعلاج في مصر، فركبنا الطائرة، والحمد لله الذي أنقذنا من مطار مصر ومن فنادقها، فالقلوب ضعيفة والشهوات خطيرة، وبحمد الله وصلنا مطار صنعاء، ولما وصلنا تذكرنا مطار بنغازي كما تذكرنا مطار صنعاء عند أن وصلنا بنغازي. وكان الرجوع في يوم الخميس ٢٩/ شعبان/ ١٤٣٣هـ .

الخاتمة

وفي الختام، فإني أحمد الله تعالى على هذه الرحلة، وأسأله الإخلاص والقبول، وأشكر إخواني جميعاً ممن سميت، أو نسيت اسمه، ولم أنس فعله على كل ما قدموه، وقاموا به وأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا لرضاه، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن والاه.

وكتبه / أبو العباس أحمد بن أحمد بن صالح شملان

دار الحديث السلفية في رداع حرسها الله.

المحتويات

مُقَدِّمَة ٢
استقبال الإخوة لنا ٥
إقبال الإخوة على العلم والخير ٦
حضور الإخوة ٧
حبهم للعلماء ٧
الدورات العلمية ٨
الخلوات ٨
مواقف مثيرة وجدناها هناك ٨
زيارة الأخوين الفاضلين الشيخ أبي عبيدة المصراتي وأبي حذيفة المصراتي ٩
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما ٩
يظنان كل الظن ألا تلاقيا ٩
سهولة المعيشة بعد مصرع القذافي ١١
نصائح وتوجيهات لإخواننا الليبيين ١٢
كلمات ومشاهد حق ١٣
متنفسات وطرائف الرحلة ١٥
اقتراح ١٧
آخر اللقاء بالإخوة ١٧
الخاتمة ١٨
المحتويات ١٩